العلامة حميد الدين الفراهي شاعرا عربيا

مقيت جاويد *

مدخل:

إن الشعر العربي في شبه القارة الباكستانية والهندية لَشعر يعتدّ به عند نُقّاد الأدب العربي وكتّابه. فرغم أن هذا الشعر العربي لم يستفد من تجارب اللغات المحلية مثل الفارسية والهندية، وأنه لم يُحدِث، مثل الشعر العربي الأندلسي، أعلاما مثل ابن خفاجة، وابن زيدون، وابن عبد ربه، وأنه أصبح جامدا لم يخرج عن تقليدية الموضوعات، كما أصبح بعيدا عن الإبداع، لكن لم يزل هناك من حاول محاولة جادة أن يعيد إلى هذا الشعر العربي حيويته، ويجدده تجديدا. وكان من روّاد هذه الحركة الشيخ السهارنفوري، وتلميذه الفراهي.[1]

تحتلّ شخصية العلامة حميد الدين الفراهي –رحمه الله تعالى– مكانة مرموقة في طبقة العلماء ومفسري القرآن الكريم في شبه القارة، باكستان والهند. رغم حقيقة أن معظم كتبه ومؤلفاته يتعلق بالدراسات الدينية، لكنه هناك جانب من جوانب ثقافته ما زال غير بارز لدى طلاب اللغة العربية وعلماءها. ألا وهو جانبها الأدبي الشعري. وقلّ من يعرف أن الرجل الذي هو موضوع دراستنا هذه، شاعر العربية المبينة، كما أنه كان صاحب ديوان سُمي بـ " ديوان أبي أحمد الأنصاري ".[2]

قسمنا مقالتنا هذه في قسمين. في القسم الأول ندرس أحوال الشيخ الفراهي الشخصية. وفي القسم الثاني نلقي ضوءا على خصائص شعره وطبيعته.

نبذة عن حياته:

قد كُتبتْ في كتب متنوعة صفحات حول حياة الشيخ الفراهي. فما اقتطفتُه من معلومات عن الشيخ، ألخصه في سطور تالية:-

هو أبو أحمد عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي الأنصاري،حميد الدين[3]الفراهي . ولد سنة 1863 الميلادية \ 1280الهجرية في قرية"فريها" من محافظة أعظم كره (في الهند الحالية) في أسرة شريفة. كان الشيخ شبلي النعماني الشهير (1857م-1914م) ابن عمته.فكالمعتاد في عصره، حفظ القرآن الكريم في صغر سنه، ثم درس اللغة الفارسية، واشتغل بعد ذلك بطلب علوم العربية تحت إشراف الشيخ شبلي. ثم رحل في طلب العلم إلى عدة مناطق في شبه القارة مثل لكناؤ حيث حضر في دروس العلامة عبد الحيّ اللكنوي (1848م – 1886م)، ولاهور حيث لقي الشيخ الأديب الشاعر، أستاذ اللغة العربية بالكلية الشرقية بلاهور، فيض الحسن السهارنْفوري (1816م – 1887م)، واستفاد منه كثيرا. وكان الشيخ السهارنفوري يحب تلميذه حبّا جمّا لذكاءه وتذوقّه الأدبي، فأعطاه نسخة من كتابه المكتوب بخط يده " رياض الفيض " شرح المعلقات السبع.ثم توجه إلى كلية عليكره الإسلامية (جامعة علي كره فيما بعد) حيث درس اللغة الإنكليزية كما أخذ الفلسفة الحديثة من المستشرق

*أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، بجامعة بنجاب،لاهور،باكستان

الإنجليزي الشهير الأستاذ توماس آرنولد(Thomas Arnold)، ونال شهادة البكالوريا.

بعد أن فرغ الشيخ الفراهي من طلب العلم ، عيّن، في سنة 1898 الميلادية، معلّماً للعلوم العربية بمدرسة الإسلام بكراتشي، فدرّس فيها أكثر من تسع سنوات.ثم اختير في سنة ١٩٠٧ الميلادية أستاذا مساعدا للغة العربية بكلية عليكره الإسلامية. وبعد سنتين التحق، كأستاذ كامل للغة العربية،بجامعة اله آباد، وبقي هناك نحو ست سنوات يعمل خلالها كعضو في " اللجنة العربية للعلوم الشرقية "، حتى انتقل منها إلى حيدر آباد الدكن (الهند) عميدا لدار العلوم التي كانت كلية شرقية حكومية، كماعمل على تأسيس جامعة سميت بـ " الجامعة العثمانية " و أسهم، كرئيس، في تأسيس "دار المصنفين " التي أصبحت فيما بعد أعظم مجمع علمي في الهند.ثم ترك الوظيفة في سنة 1918 الميلادية، وعاد إلى وطنه، ولزم بيته منقطعا إلى القراءة والتأليف والتدوين، كما وقف خمس سنواته الأخيرة من عمره على الإشراف على " مدرسة الإصلاح " وإدارتها.

توفي الشيخ في الحادي عشر من نوفمبر سنة ١٩٣٠الميلادية في الهند،ودفن هناك.

كان للشيخ الفراهي أساتذة لهم تأثير كبير في صقل ثقافته العلمية الأدبية. منهم العلامة شبلي النعماني، *والشيخ الأديب فيض الحسن السهارنفوري، والمحدث الفقيه عبد الحيّ اللكنوي.*

أما تلاميذه، فمن الذين تأثروا به، واستفادوا من دروسه، نخص بالذكر منهم العلاّمةأبو الكلام آزاد (1888م – 1958م)، والعلاّمة السيد سليمان الندوي (1884م -1953م)، والشيخ مناظر أحسن الكيلاني (1892م – 1956م)، والشيخ عبد الماجد الدريابادي (1892م -1977م). وأما تلامذته الذين قاموا بنشر آراءه و كتبه،يشتهر منهم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي (1904م -1997م) الذي مهد لعامة الباحثين في باكستان والهند الاستفادة من أفكار الشيخ الفراهي.

أما كتب العلاّمة الفراهي، فممّا طبع من كتبه، وتشتهر منها : أساليب القرآن، و أسباق النحو بالأردية) جزءان لتعليم النحو والصرف، وأمثال آصف الحكيم، و الإمعان في أقسام القرآن، وتحفة الإعراب، والتكميل في أصول التأويل، وجمهرة البلاغة، ودلائل النظام، وديوانه العربي، والرأي الصحيح في من هو الذبيح، وفاتحة نظام القرآن، و القائد إلى عيون العقائد، ومفردات القرآن، ونظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، وديوانه الفارسي.[4]

مكانته في اللغة العربية وأدبها:

كان الشيخ الفراهي قائما على قمّة الجبل الشامخ في اللغة العربية. حينما يقرأ أحد منا كُتبه ومقالاته في العربية، يجد أنه يقرأ نصوصَ مَن له مهارة تامة وسلطان كامل على إحداث الأخيلة البديعة، واستخدام الكلمات الفصيحة والتراكيب البليغة. ولعل سبب علوّ مكانته في اللغة العربية، يرجع إلى ملازمته، أوّلا، بالعلامة شبلي النعماني الذي كان نفسه يُعدّ من أعلام الآداب العربية في عصره والذي أسهم في إجلاء مواهبه الأدبية، ثم، ثانيا، إلى جلوسه أمام الشيخ السهارنفوري في مدينة لاهور لكي يغرف من نهر الأدب العربي الضخم ما تيسّر له وما قدر عليه. وفيما يلي نذكر أقوال بعض من العلماء ورجال الأدب في الشيخ الفراهي:

1. **يقول العلامة عبد الحي الحسني:**

" هو من كبار العلماء، له خبرة تامة بالعلوم الأدبية، وقدرة كاملة في الإنشاء والترسّل، وتودّد إلى معارفه وأصحابه مع جودة فهم، ووفور ذكاء، وزهد وعفّة، وشهامة نفس وانجماع[5]، لا سيما عن بني الدنيا وعدم اشتغال بما لا يعنيه، راسخ في العلوم العربية والبلاغة، متعمّق فيها، متضلّع من أشعار الجاهليين، وأساليب بيانهم...."[6]

2. **وفي رأي تلميذه العلامة السيد سليمان الندوي:**

" هو شخص واحد اجتمع فيه عالَم من العلم والمعرفة، ماهر في العلوم الدينية، ناقد للعلوم العقلية، وحيد عصره في علوم العربية، نسيج وحده في علم القرآن، عارف بحكمته ودقائقه....."[7]

3. **يقول الشيخ أبو الحسن الندوي:**

" (إنه) جمع بين التدبر في القرآن والاشتغال به، والتذوّق الصحيح لفنّ البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية، وبين التشبّع من دراسة بعض اللغات الأجنبية والصحف السماوية القديمة، وسلامة الفكر ورجاحة العقل و التعمق...."[8]

4. **ويرى الشيخ محمد أجمل أيوب الإصلاحي في مكانته في العربية:**

" أما العربية فكان فيها إماما لا يشقّ له غبار، وكان له في كل علم من علومها من لغة، ونحو، وبلاغة، وعروض، تحقيقات واجتهادات واستدراكات على الأئمة."[9]

5. **ويقول الدكتور أحمد إدريس عنه:**

" كان عالما ثائرا، همّ المسلمين أكبر همّه، بارعا في العلوم الإسلامية والأدب العربي والشعر الجاهلي بشكل خاص، أثنى عليه معاصروه كالشيخ أبي الأعلى المودودي، ورشيد رضا المصري، والسيد أحمد، وشبلي النعماني وغيرهم."[10]

شعره:

نشر ديوانَه في اللغة العربية الشيخ بدر الدين الإصلاحي من الدائرة الحميدية سنة ١٣٨٧هـ ، وأعيد طبعه في الدار نفسها سنة ١٤٠٩هـ . يشتمل على ثلاث عشرة قصيدة بالإضافة إلى قطعتين صغيرتين. وفيما يلي تفصيله لذلك:

رقم مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات
1	في الاستعاذة	8
2	في غفلة الإنسان	14
3	في تقلّب الأيام بالناس	15
4	في نور الحكمة والإيمان	22
5	في تطاول الطليان على طرابلس	33
6	في ذكر هجوم الطليان وظلمهم	21

7	في كرّة العرب على الطليان	22
8	في عتاب العرب الترك على الصلح بالطليان	36
9	في ثوران الفتنة البلقانية	15
10	في ذكر أشراط الساعة	27
11	في ذكر الملحمة الكبرى	42
12	في ذكرى الأيام	16
13	في التهنئة للعلامة شبلي النعماني	13
14	أبيات في الرجوع إلى العقل	4
15	أبيات في التحذير عن الدنيا	3
		مجموع الأبيات: 291[11]

أغراض شعره:

اختار العلامة الفراهي مجالات الفكر والخيال المتعددة لإظهار مواهبه الشعرية. وأهمها فيما يلي:

1. المُقاومة والسياسة:

جُلّ شعره الذي وصل إلينا يتعلق بالمصائب والفِتن التي حلتْ بالأمة المسلمة عامة وعلى مناطق طرابلس والبلقان خلال الحروب التي نشبت بين إيطاليا و الدولة العثمانية من جانب و الدول الأوروبية وتركيا من جانب آخر.

أ. **الحرب بين إيطاليا وتركيا على طرابلس الغرب:**

هجمت دولة إيطاليا، تحت طموحاتها الاستعمارية، على الدولة العثمانية لاحتلال إحدى ولاياتها، طرابلس الغرب، والتي تشتهر اليوم باسم "ليبيا". دارت رحى الحرب بين الدولتين لمدة أكثر من سنة. وذلك أن المعارك بدأت في شهر سبتمبر عام 1911م، وانتهت في شهر أكتوبر عام 1912م. رغم اتخاذ القوات الإيطالية باستعدادات هائلة ومُرعبة مثل الطائرات الحربية، دافع الفرسان العرب عن وطنهم ودولتهم دفاعا لا نظير له في الفن الحربي إذ ذاك، مما ترك في قلب شاعرنا آثارا عميقة وخالدة، وأجبره على جعله موضوعا لشعريته ونظمه.[12] وفيما يلي نحلّل قصيدتين له في ذكر هذه الحرب وما بعدها من الأحوال:

يصف هجوم الجيش الإيطالي على المسلمين الأبرياء في أرض ليبيا بدون أيّ مبرّر ويقول:

غَدَرَتْ بنا الرُومُ الفَواجِر		ذاكَ الذي كُنّا نُحاذِرُ
شَبّتْ إيطاليا الحُرو		بَ ومالها في الناسِ عاذِرُ
لِتَنالَ فخراً ثُمّ ذُخراً		لوْ أَطاعَ لها المقادِرُ
حثّتْ لها أبناءها		الغاوِين في الهيجا[13] المضاجِرُ

ليدوخُوا[14]	ملكاً	ويَد		تَهِبوا المدائنَ والعَمائر
فأتَوا	طرابلسَ	التي		لاحتْ لهم أدنى المعابِر
هجمُوا	عليها	مُفْعَمٍ		ينَ البحرَ بالسُفُن المواخِر[15]

أما عن سبب إغارة العدوّ الماكر، فعنده سببان كبيران. الأول الإساءة إلى الإسلام . والثاني الاحتلال على أراضي المسلمين. يقول:

هلْ	تَنعَسُون[16]	وخَصْمُكمْ		عنْ كيدِه ما إنْ نعِسْ
ألا	تهُبُون	اليومَ	فا	لإسلامُ يتْعسُ[17] بلْ تَعسْ
قد	زُلْزِلَتْ	أركانُه		حتى تقَعْقَعَتْ[18] الأُسُسْ
فالخَصْمُ	يجْهد	أنْ	يرى	الإسلامَ في بُؤسٍ بئِسْ[19]

وفي مقام آخر يعبّر عن السبب الآخر قائلا:

إنّي	أرى	فِتَناً	تَمُو	جُ وقد ظهرْنَ لِمنْ حَدسْ
ناراً	تأَجَّجَ	في	البلا	دِ وقدْ تلَهَّبتْ الأَطُسْ[20]
يبغُونَ		قُسطنطينيه		ة وبعدها أرضُ القدُسْ
قدْ	صِيحَ	في	حُجْراتها	ولَتسمعُنَّ لها الجَرسْ
فَلَنُنَصّحنّ	أو	نقتلنّ		عن قدسنا القومَ النجسْ[21]

ثم يلتفت إلى اعتداءات الإيطاليين على المسلمين والمسلمات، الصغار منهم والكبار، النساء منهم والأطفال. وفي هذا المقام نراه يَبكي نفسه ويُبكينا معه، ويفور قلبه حزناً وألَماً. يقول:

كيف	القرارُ	وقدْ	نُكس[22]	أعلامُنا بطرابلسْ
كيف	القرارُ		وحولنا	الأعداءُ ترتقب الخُلسْ[23]
منْ	كلّ	ذئبٍ	انْ	رأى مِن عزّةٍ فينا أختلسْ
أو	أفعوان[24]		مطرقٌ	إنْ لمْ نُبادره نَهَسْ
نبكي	على	إخواننا		بين القتيل ومن حُبِسْ
كم	من	تقيٍّ	طاهرٍ	فيهم ونحريرٍ نَدِسْ[25]
نبكي	لربّاتِ	الخدو		ر شرقن بالماء السلسْ
جرتِ	الحتوف[26]	على	الألو	ف من الزحوف ومن جلسْ
هم	أهلنا	وعشيرنا		أفيألمون ولا نحسّ[27]

وفي مقام آخر يرثي على القتلى الذين لم يستطعوا أن يقوا أنفسهم وأهاليهم من قصف الطائرات الإيطالية على بيوتهم، وبالتالي أستشهدوا في سبيل الله:

يا عينُ بكى بالهوامع		لا ترقأنْ لك المدامِعُ
قتْلى طرابلس الذ		ين تَطَحْطَحَتْ بهم القوارعُ
نبكي على إخواننا		أهل المكارم والدسائع[28]
دهمتْهم الروم الفواتِ		تِكُ بالمراكب والمدافعُ
جارُوا على حردٍ[29] بجمع		هم فضاقَ بنا المفازعُ
دخلُوا المدينةَ يقتلو		ن بها المشائخَ والرعارع[30]
قتلوا المراضِعَ في المضا		جع والضوارعَ في الشوارع
وعلَوا بطياراتهم		يتحسّسُون لنا المواقع
صارتْ تُحلّق فوقنا		مثل الغرانيق[31] الطوالع[32]

وأثناء ذكر البلاء في الحرب، لا ينسى الشاعر أن يمدح المسلمين، العرب والترك، على جلَدهم، وشدة مقاومتهم أمام العسكر العدو، ودفاعهم عن دينهم وأرضهم بقوة الاتحاد. يقول مثنيا على جبهة العرب والأتراك المشركة ضد أعدائهم:

كرّتْ عليهم شجعةُ		الأتراكِ كالأُسُدِ الهواصرِ[33]
وأتتْهم الأعرابُ تَخْ		طِفُهم كَعِقبانٍ كواسرِ
فتفلّلُوا بددا كما		ذُعِرت من الصقر الغراغر[34]

وفي مقام آخر يقول ملقيا الضوء على الوفاق بين العرب والترك:

فلنبْذُلَنّ لها النفو		سَ ودُونَ حَوزتها نُدافعُ
ما الترك إلا مثل كفّ		الباسل العاري الأشاجعِ
والعرب مثل الأصابع		لا كفّ إلا بالأصابعِ[35]

وبعد ذكر المظالم والمصائب، لا يضيع فرصة ذمّ الهاجمين. يهجوهم، و يعبر عن كرهه إياهم كما يوضّح بطلان أهدافهم وشرائعهم. فمثلا يقول:

لا دينَ عندهم ولا		حلم عن العدوان وازعُ
يُبدون نصرانية		زوراً وقدْ رفضُوا الشرائع
بلْ يَشْمَئِزّ الكفر مما		يركبون من الشنائع

البغي من أخلاقهم		والغدر سِيطَ من الطبائع[36]

وينظم هجاءه لهم بطريق آخر، ويقول:

لا دين عندهم ولا		حِلم عن العدوان زاجر
غرّوا بأنّ الترك لا		تأتي إليهم بالعساكر
وبأنّ شدة وقعهم		توهي من العرب المرائر
غرّهم الآمال مثـ		ـلَ سرابٍ مُعَمْعَمَة الهواجر
فرأوا بلاد المسلم		ينَ كفقع قاع بالقراقر
والكلب يجهل أنّ بعـ		ـضَ العظم ينشب في الحناجر[37]

وفي نهاية معالجته بشؤون الحرب الليبية، يدعو الشاعر الأمة المسلمة إلى أن يراعوا انتباهم إلى هذه الأزمة التي سوف، إن لم تُدفع بجدّية، تأتي بنتائج وظروف تضرّ المسلمين جميعهم. فأولا يخاطب المسلمين، ويسألهم أسئلة بقوله:

هلْ لا ذكرتم ما أصا		بَ المسلمين بأندُلسِ
سلبُوكم شطر البِلا		دِ وما لها من ملتمسِ
أفكلّ يوم ينكص		الإسلام حتى يندرس
هلْ يذهب الحقّ النقـ		ـيّ ويغلب الكذبُ الرجس
هلْ ترتضون بذلّ دين		كم وليس بملتبس
والله لا نرضى به		ما دام فينا من نفَس
فاليوم إنْ لم تدفعوا		فليأتينّ يومٌ نحِس[38]

ثم يحثّهم على طلب النصرة من الله تعالى وعلى بناء الاستراتيجية الدفاعية، مثل اتخاذ العدّة والسلاح، لحماية أراضيهم ودينهم، فيقول:

فاحمُوا ذمارَ الملة		البيضاء كالأسد الشكس
واستجمعوا عُدداً فما		تجري السفين على اليُبْس
أعني المراكب والمدا		فع والكتائب والحرس
وتعلموا حِيَلَ الحرو		ب لِتغلبوا الخصم الشرس

فتأهبوا وتألبوا		وتلبّبوا لوغَى ضرس
واستنصروا الله المهيـ		مِن في العشيّ وفي الغلس
"ولينصرنّ الله من		ينصره" فليحتمس[39]

ب. عتاب الشاعر الأتراك على عقد الصلح بين تركيا وإيطاليا في عام 1912م:

حين ما كان المجاهدون الليبيون يقاومون الغزو الإيطالي، ويتسببون في حدوث خسائر مادية ومالية للقوات الإيطالية، دخل السلطان العثماني في عقد الصلحبإيطاليا في سنة 1912م، وهو الذي يسمى بـ " معادة أوشى[40] ". وقّعت هذه المعاهدة بسويسرا والتي بموجبها انسحبت القوات التركية من ليبيا، وتركت العرب الليبيين وحدهم وجها لوجه أمام القوات الإيطالية. فلما سمع شاعرنا عن ذلك العقد، غضب غضبا شديدا، وكتب قصيدة مشتملة على 36 بيتا عاتب فيها الأتراك عتابا. فيقول:

يا ترك! لا تَبغوا الهُوينا		لا تنعموا الحُسّاد عينا
أتُسالِمون الظالمي		ن الغائمين لِما حَمينا
الناهبين بلادنا		والغاصبين لِما حَوينا
أتسالمون عدونا		وتركتمونا بينَ بيْنا
هل لا ذكرتم يوم أنْ		قيتم أمورَكم إلينا
كنتم لنا الإخوان إذ		في الدين والودّ استوينا
فنفوسنا ونفوسكم		خلطتْ معاً لما التقينا[41]

ثم يقول بعد أبيات بأن الأمة المسلمة لن تقبل عقدهم هذا بالمستعمرين إلا أن يخلوا أرضهم:

أفبعد ذلك تخاذِلو		نَ وتذهبونَ فأين أينا
إن العدوّ هم هم		لوْ تُبصرون كما رأينا
هل تأمنوهم فقد		غروكم زُوراً ومَيْنا
كالصل يطرق ثم يقـ		طرنا به سمّا وحينا
فلئن بدا لكم مسا		لمة العدوّ لقد أبَينا
لا سِلم بالطليان حتـ		تى يتركوا بلداً ثوينا
ننفيهم عن أرضنا		لا ترعوي عما قضينا[42]

ج. حرب البلقان عام 1912م:

حاولت الدول الأربعة، بلغاريا ويونان وصربيا ومونتينيغرو، التي حصلت على استقلالها من الدولة العثمانية في أيام ضعفها، أن توسّع مناطقها، فأغارت جميعها على الدولة العثمانية في عام 1912م. سميت هذه الإغارة باسم " حرب البلقان الأولى ". استمرت هذه الحرب لمدة سبعة أشهر، وانتهت بعد توقيع " معاهدة لندن " عام 1913م. حرمت الدولة العثمانية من أكثر من ثمانين بالمائة من مناطقهم بالقارة الأوروبية، كما هاجر نحو ثلاثة ملايين مسلم من أوروبا إلى داخل تركيا.[43] يسمي شاعرنا هذه الحرب " الملحمة الكبرى " و " الفتنة البلقانية " للمسلمين، ونظم فيها قصيدتين يذكر فيهما الدواهي النازلة على الأمة. فهناك أبيات من قصيدته:

شبّتْ على بلقان نارُ الحروب		أشعلها بالبغي أهلُ الصليبِ
لمْ تبقَ في الآفاق أرضٌ بها		الإسلام إلا نالها مِن لهيبِ
قد حزب الشيطان أحزابه		وحثّهم لكل شرّ وَحُوبِ
شنّوا على الإسلام غاراتهم		يذهل فيها عن حبيبٍ حبيبُ
يا كردُ يا تاتارُ يا كابلُ		يا كلّ مَنْ لله عبد منيب
في مشرق الآفاق أو مغرب		أو في شمال الأرض أو في جنوب
يدعوكم الإسلام جهرا إلى		إلى ذبّ العدى عنه فهل مِن مُجيبِ
قُومُوا لنصر الحقّ من فوركم		واستنفرُوا من كلّ مُرد وشِيب[44]

ويقول في قصيدة أخرى:

لقد حلّ بالروم شرّ شمر		فنار الحروب بهم تستعرْ
فهم حصب كالهشيم اليبيـ		س يصلونها زُمَراً فزُمرْ
رحى الحرب تطحنهم والدماء		تُدير الرحى مثل جري النهرْ
فكم ألف ألف وكم مثلها		قتيل وكم مثلها قد أُسرْ
وكم ألف ألف وكم مثلها		على مورد ما له من صدرْ
وكم بلدٍ عامر قد خوى		وكم هُدّ من أُطُم مشمخرّ
فيا بؤس حرب لروعاتها		ترى كلّ مملكة تقشعرّ
جنتْها أوربا ولكنها		إلى منتهى الشرق ترمي الشرر[45]

2. الحكمة:

الشعر الحِكَمي هو الموضوع الثاني الرئيسي الذي نجده وفيرا في ديوانه المطبوعة. وشعره في الحكم ينقسم إلى عدة جوانب. فتارةً نراه يذكّر الناس الموت الذي سيأخذ كل حيّ كائن. يقول:

أما لِلناس أحلامُ		أهُم في السكْر نوَّامُ
وهم وزّاد حوض الم		ت أصرامٌ فأصرامُ
فآباءٌ وأبناءٌ		وأخوالٌ وأعمامُ
وإخوانٌ وخِلّان		وأخدانٌ وأحلامُ
فخانتْهم قرابات		وأنسابٌ وأرحامُ
وريب الدهر يُبريهم		وتوهي العظمَ أسقامُ
فحبل الموت ممدودٌ		وحبل العيش أرمامُ[46]

ثم يلتفت شاعرنا إلى تقلّب أحوال الناس من رخاء إلى فقر ومن صحة إلى سقم ومن حياة إلى موت في النهاية. يقول كاشفا الغطاء عن وجه الحقيقة:

العيش أحلاء وأمرارٌ		والدهر إقبالٌ وإدبارُ
بينما الفتى يرفل في ثروة		إذ نابَه بؤسٌ وإقتارُ
وبينما المرء مقيمٌ إذا		جشمه للبَين أسفارُ
وكم رخى العيش في قصره		يفعمه مِسكٌ وأزهارُ
إذ رفع النعش له بغتةً		فضمَّه تربٌ وأحجارُ[47]

وفي مقام آخر يُنبئنا:

وكيف مناص مِنْ خُطوب طوارق		تُساورنا وما لها من حسيس
وأين محيصَ من سهام سديدة		مقدرة نبالها للنفوس
وما الناسُ إلا زرعٌ وشطئه		سيهمد يوما كالحصيد اليبيس
فما غانم إلا كآخر خائبٍ		وما آمل إلا كمثل يئوس[48]

ثم إذ أن الإنسان لا يستطيع أن يقي نفسه من تغير ظروف الدنيا وتقلب الدوران، فلا يتحسّن، عند شاعرنا، لأحد أن يهواها ويغرم بها. يقول بصراحة:

يا بؤس للدنيا شقيا سعيدها		فياويلَ من يسعى لها يستزيدها
فلا يرجعنّ إلا إلى الضر نفعها		ولا يرجعنّ إلا إلى الشُحّ جُودها
فسيّان عندي عدمها ووجودها		وصنوانِ عندي وصلُها وصُدودُها[49]

فإذا كانت الدنيا ليست إلا أمرا تافها عنده، فمن الواجب لكل حرّ نجيب أن يحيا حياة عزّ، ولا يقبل صفقة ذلّ. يقول:

فالموت خيرٌ من حيو		ةٍ تحتوي ذُلّا وشَينا
إنا لأحرار نُعِ		دُّ القتلَ للأحرار زَينا[50]

وأثناء مواجهة شدائد الحياة، لا بد لكل كيّس أن يؤمن بأهمية العقل والحق في المجتمع الإنساني:

سِرْ مع العقلِ أينما سارا		دُرْ مع الحق حيثما دارا
لا تهولنك ليلةٌ عكرتْ		إنَّ بعد الظلام أنوارا[51]

3. الشعر الديني:

بالإضافة إلى الشعر السياسي والشعر الحكمي، نجد هذا الشاعر الفذّ معالجا بأمور الدين في عدة من قصائده. ففي إحدى قصائده يوضّح لنا ميزات القرآن الكريم ومحاسنه في ضوء تفسير الصحابي، أبيّ بن كعب رضي الله عنه، للآية القرآنية ﴿مثلُ نوره كمشكوة فيها مصباح﴾ (النور: 35):

ما أبلغَ القرآنَ من داعٍ		لو كان فيكم سامعٌ واعٍ
كم حكمةٍ فيه وكم مثلٍ		للنصح والتفكير جمّاعٍ
يعمى به الغاوي ويهدي به		عبد على نهج الهدى ساعٍ
كالمزْن فيه البرقُ والودقُ و		الأظلام ضرار ونفاع
فمثل الإيمان يلمع في		قلب سليم للتقى راعٍ
مثل زُجاج في سراج كمثل		الكوكب الدرّيّ لماع[52]

وفي قصيدة أخرى، يدعو الله تعالى مستعيذا به من الفتن والأشرار وقائلا:

أعوذ بالله العظيم الأفضال		الغافر الذنب الشديد الأنكالِ
من همزات النفس ذات الإيغال		ونفثات كل باغٍ محتالِ
وسطوات كل طاغ مختالٍ		وفتنة الجبن وبلبال البالِ
وفتنة الحرص وطول الآمال		وفتنة الأهل ومال ميّالِ
وفتنة الدنيا كرقراق الآل		وفتنة العلم وزيغ الأقوالِ
وفتنة الجهل وسوء الأعمال		وفتنة الشيطان رأس الضلال[53]

الإيمان بالساعة أو يوم القيامة من عقائد الدين الإسلامي. وقف شاعرنا قصيدة كاملة لذكر أشراط الساعة التي وردت في القرآن والحديث. يقول مثلا:

فإن القيامة قد أزلفتْ		إلينا فقد جاء أشراطُها
فقد أخذ الناسُ جهالَهم		هداةً فيخبط خباطها
فضاع الأمور وشاع الفجور		وذاع الخمور وإفراطها
وقد أورطتْ أمة المسلمي		ن في هوّة شدّ إيراطها
وأوقعها الدهر في عقدة		تعسّر للقوم إنشاطها
وقامتْ لتعزيز دين الإلـ		ـهِ من اهل سودان إقطاطها[54]

4. المديح والتهنئة:

يمدح العلامة شبلي النعماني حينما لقب بـ " شمس العلماء":

يبدأ قصيدته بهذه الأبيات:

يا خير مَنْ يسمو إلى العليا		ء كالشمس بازغة بوسط سماءِ
قد كنت قدما للمعالي ساميا		أورثته عن شيمة الآباءِ
فلئن سموت إلى المكارم والعُلى		فلقد نشأتْ بعزةٍ قعساءِ

ويُنهي قصيدته قائلا:

وأُهنّئكم بما أعطيتم		من خير ما وجدوا من الأسماء
إن كان تلك الشمس شمس سماءها		فلصِرتَ شمس العلم والعلماء
إذ أنت شمس والعلوم سماءكم		فالشمس شمسي والسماء سماءي

خصائص شعره:

إذا استعرضنا شعر العلامة الفراهي، نجد أنه ليس بشاعر عادي كما يظهر من قلة قرضه الشعر، بل هو شاعر فحل مطبوع حاول أن يخطو خطوة الشعراء القدامى معيدا إلى الشعر العربي حيويته وجماله المفقود في شبه القارة. وكثيرا ما يخطر ببال من يقرأ شعره السهل الممتنع، أنه يدير النظر في شعر شاعر جاهلي. يقول الشيخ بدر الدين الإصلاحي في شعره:

" قد جاء نظمه سهلا خفيفا، يطمع السامع أن يأتي بمثله، لكنه إذا حاول، عجز. إنه قد أوتي بقريضه للغة العربية دقة في التركيب، رقة في الأداء، جمالا في الأسلوب، حسنا في الخيال، رونقا في البيان وطلاوة في المعنى.

وإن هذه كلها تدل على أنه كان من الشعراء المطبوعين المجيدين الذين لا يقرضون إلا بفيض قريحتهم ووحي فطرتهم."[55]

قد نظم شاعرنا في معظم الأغراض الشعرية من رثاء، وحماسة، وحكمة، ومديح وما إلى ذلك. يتميز أسلوبه بتقليد الشعراء الجاهليين وخاصة في المواضيع التي تتعلق بالحروب والبكاء على الأموات. يملك شاعرنا أخيلة خصبة، وروعة ابتكار، وبلاغة في الإيجاز، وقوة في الأحاسيس، وصدقا في العواطف وعمقا في المشاعر.

خلاصة البحث:

وخلاصة القول أن الشاعر الفراهي وُهب مواهب شعرية يعادله فيها قليل من الشعراء المعدودين على الأصابع في شبه القارة، الهند وباكستان. إنه قد نظم في موضوعات متعددة متنوعة تتعلق معظمها بالأمور السياسية، الداخلية والخارجية، والحكمة والموعظة الحسنة. أما في الجانب الأسلوبي والبلاغي، فيتحلّى شعره بمزايا رائعة قلّما توجد في أبيات شعراء شبه القارة عامةً، ودولة باكستان الإسلامية خاصةً.

هوامش

1. للقراءة حول طبيعة الشعر الشبه القاري العمومية بالتفصيل أنظر: أحمد إدريس، الدكتور، الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية، القاهرة، مصر، 1998م.
2. أنظر: المقدمة لمحمد أجمل أيوب الإصلاحي لكتاب "مفردات القرآن" للفراهي ص 15.
3. كان اسمه الذي سمي به بعد ميلاده " عيد الحميد "، لكنه اشتهر فيما بعد ذلك باسم " حميد الدين ".
4. جمعت هذه التفاصيل جميعها من مصادر متنوعة. وهي:1. راوي، محمد فريد، الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، دار الشاكر للطباعة والنشر والتوزيع، سلانجور، ماليزيا، 2015م ص ص 37-58. 2. الفراهي، حميد الدين، مفردات القرآن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م ص ص 13-41. 3. عبد المنعم محمد سالم، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، المملكة العربية السعودية. يمكن تنزيل المعلومات تحت عنوان:http:www.almoajam.org/poet_details.php?id=2264
5. أي انضمام إلى نفسه.
6. الحسني، عبد الحئ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، دار ابن حزم، بيروت، 1999م. ج 8 ص 1267.
7. راوي، محمد فريد، الدكتور، الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، دار الشاكر للطباعة والنشر والتوزيع، سلانجور، ماليزيا،2015م. ص 47.
8. المرجع نفسه، ص 48.
9. للتفصيل أنظر: الفراهي، عبد الحميد، العلامة، مفردات القرآن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م. ص 26.
10. أنظر: أحمد إدريس، الدكتور، الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية، القاهرة، مصر، 1998م. ص 391.
11. انظر: الفراهي، عبد الحميد، العلامة، ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، 1968 م.

12. للتفصيل اقرأ: بازامه، محمد مصطفى، العدوان او الحرب بين إيطاليا وتركيا في ليبيا، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1965م. (الجزء الأول)
13. أي الحرب
14. داخ البلاد أي قهرها.
15. الفراهي، عبد الحميد، العلامة، ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، ص 13.
16. أي تنامون.
17. أي صار سيئ الحظّ.
18. أي تزلزلتْ.
19. الفراهي، ديوان الفراهي، ص 9.
20. آواني كبيرة من نحاس.
21. المرجع نفسه، ص ص 9-10.
22. أي نزّل
23. أي سرّا وعلى غفلة.
24. حيّة خبيثة سامّة.
25. أي فطين.
26. أي الموت
27. المرجع نفسه، ص 8.
28. اي الخُلُق.
29. حرد المكان أي قصده.
30. الشابّ الحسن الاعتدال.
31. اسم طائر وهو ضرب من الكراكيّ.
32. المرجع نفسه، ص 11.
33. هصر يهصر: يكسّر فريسته.
34. المرجع نفسه، ص 14.
35. المرجع نفسه، ص 12.

36. المرجع نفسه، ص 12.
37. المرجع نفسه، ص ص 13-14
38. المرجع نفسه، ص 9.
39. المرجع نفسه، ص 10.
40. " أوشي " هو اسم قلعة وقعت في ضواحي مدينة لوزان بسويسرا.
41. الفراهي، ديوان الفراهي، ص 15.
42. المرجع نفسه، ص 16.
43. للتفصيل إقرأ: البستاني، يوسف، تأريخ حرب البلقان الأولى بين الدولة العلية والاتحاد البلقاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014م.
44. الفراهي، ديوان الفراهي، ص 18.
45. المرجع نفسه، ص 23.
46. المرجع نفسه، ص 2.
47. المرجع نفسه، ص 4.
48. المرجع نفسه، ص 28.
49. المرجع نفسه ، 31.
50. المرجع نفسه، ص 16.
51. المرجع نفسه ، 31.
52. المرجع نفسه ، ص 6.
53. المرجع نفسه، ص 1.
54. المرجع نفسه، ص ص 20-21.
55. المرجع نفسه، ص رقم ب.